هو الحرية . هذا الهم جعله يقول إن الشاعر كما كانوا يفهمونه فى القرون الوسطى ومابعدها نديم يلقى جميع سامعيه ، ويعاشرهم فى المجلس ، ويطيب خواطرهم بالملح والأحاديث ، فكانت صفة النديم له لازمة أشد اللزوم .

وبعبارة أخرى كان النديم أشبه بالعبد الظريف يسلى السادة والسامعين ، لا يشعر بأنه من خلال الملح والأحاديث قد تخلى عن نفسه ، وجعل السامعين سادة عليه يحكمون فى أمره ، ويوجهونه إلى حيث يريدون .

ونظر العقاد فرأى الشاعر فى القرن العشرين حرا ، قد أعطت له المطبعة حظا من الحرية ، فكانت المطبعة إذن عاملا من عوامل التثقيف الذاتى ، أو عاملا برأه من صفات النديم ، وأصبح مستعدا لأن يكون مالك أمره ، يصرف أساليب تفكيره حيث يشاء .

وعلى هذا النحو من التقسيم خيل الى العقاد أن أجمع مايصف حافظا أنه وسط بين الشاعر كما يفهمونه فى القرون الوسطى والشاعر كما يفهمونه فى القرن العشرين ، وأنه كذلك وسط بين شاعر الحرية القومية وشاعر الحرية الشخصية .

وبعبارة ثانية يرى العقاد الشاعر الحديث فى هذا الضوء . فالحرية القومية حين تسرى يحس الشعراء بالمطالب الاجتماعية لأنها تكون شغل كل إنسان . ولكن الحرية القومية لاتميز شخصا عن شخص فى دخيلة نفس أو وجهة شعور أو نزعة تفكير . الحرية ا شخصية إذا تمهدت مقدماتها السابقة تجعل الشعراء متفاوتين فى الأذواق والموضوعات وطرائق التناول والإحساس بالطبيعة والحياة .

الحرية الشخصية عند العقاد هى الباب الذى ينبغى أن نرصد آثاره فيما نسميه مقصد حافظ وغيره من الشعراء وبخاصة فى باب المديح .

وهكذا يتتبع حافظا فى تطور نظرته إلى المديح ، ويذكر على الخصوص أن الأمة الحرة تمدح ، ولكنك ترى ذكرا لغير الرؤساء ، وصفات ترجع الى الأمة ، وتعتمد على تقديرها أو تستفاد من خدمتها والعمل بمشيئتها .

وتستطيع أن تقول هنا إذا كنت مولعا بالاعتراض وأين البحث عن لغة حافظ ، وهذا سؤال وجيه ولكن الإجابة عنه فى رأى العقاد لاتستقيم مع إهمال دور حافظ فى